بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْبَابُ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الْحَقِّ

إنَّ قلوبَ العبادِ بين أُصبعين مِن أصابع الرحمن ، يُصرِّفُها كيف يشاء . أخرجَ مسلمٌ عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَىٰ طَاعَتِكَ" .

وصحِّ ذلك عن أم سلمة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

بعضُ أسبابِ الثباتِ :

١ – الشعورُ بالفقرِ إلىٰ تثبيتِ اللهِ تعالىٰ :

ليس للعبد غنىً عن تثبيتِ الله سبحانه وتعالىٰ له طرفةَ عينٍ ، فإنه إنْ لم يثبتْنا الله هلكْنا ، قال الله عز وجل مخاطباً خيرَ خلقه ، وأكرمَهم عليه : { وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء : ٧٤] .

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ تَأْيِيدِ رَسُولِهِ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ

وَسَلَامُهُ ، وَتَثْبِيتِهِ ، وَعِصْمَتِهِ وَسَلَامَتِهِ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفُجَّارِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْمُتَوَلِّي أَمْرَهُ وَنَصْرَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَكِلُهُ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، بَلْ هُوَ وَلِيُّهُ وَحَافِظُهُ وَنَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَمُظَفِّرُهُ ، وَمُظْهِرُ دِينَهُ عَلَىٰ مَنْ عَادَاهُ وَخَالَفَهُ وَنَاوَأَهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، ﷺ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ .

٢- **الإيمانُ باللهِ تَعَالَىٰ:**

قال الله عز وجل: { يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [سورة إبراهيم : ٢٧] .

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ : يخبر تعالىٰ أنه يثبت عبادَه المؤمنين ، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام ، الذي يستلزم أعمالَ الجوارح ويثمرُها ، فيثبتُهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلىٰ اليقين ،وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة علىٰ تقديم ما يحبه الله علىٰ هوىٰ النفس ومراداتها .

وفي الآخرة عند الموت بالثبات علىٰ الدين الإسلامي ، والخاتمة الحسنة ، وفي القبر عند سؤال الملكين ، للجوابِ الصحيحِ ، إذا قيل للميت : "من ربك ؟ وما

دينك ؟ ومن نبيك؟ ". هداهم للجواب الصحيح ، بأن يقول المؤمن :"الله ربي ، والإسلام ديني ، ومحمد نبيي ".

٣- الإقبالُ علىٰ كتابِ اللهِ :

قال الله تعالىٰ : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل : ١٠٢] .

قال العلامةُ ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين": فَلَمَّا كَانَ كَمَالُ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُمَا الْهُدَىٰ وَدِينُ الْحَقِّ، وَبِتَكْمِيلِهِ لِغَيْرِهِ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ : { وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ١ - ٣] . أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ خَاسِرٌ إِلَّا مَنْ كَمَّلَ قُوَّتَهُ الْعِلْمِيَّةَ بِالْإِيمَانِ، وَقُوَّتَهُ الْعَمَلِيَّةَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَكَمَّلَ غَيْرَهُ بِالتَّوْصِيَةِ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ، وَلَا يَتِمَّانِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهِمَا، وَالتَّوَاصِي بِهِمَا كَانَ حَقِيقًا بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُنْفِقَ سَاعَاتِ عُمْرِهِ بَلْ أَنْفَاسَهُ فِيمَا يَنَالُ بِهِ الْمَطَالِبَ الْعَالِيَةَ، وَيَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِقْبَالِ عَلَىٰ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِهِ

وَتَدَبُّرِهِ وَاسْتِخْرَاجِ كُنُوزِهِ وَإِثَارَةِ دَفَائِنِهِ، وَصَرْفِ الْعِنَايَةِ إِلَيْهِ، وَالْعُكُوفِ بِالْهِمَّةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ الْكَفِيلُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْمُوصِلُ لَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ .

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ :

{ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا} : عند نزول آياته وتواردِها عليهم وقتا بعد وقت ، فلا يزال الحق يصل إلىٰ قلوبهم شيئًا فشيئًا ؛ حتىٰ يكون إيمانُهم أثبتَ من الجبال الرواسي ، وأيضًا فإنهم يعلمون أنه الحق . وإذا شرع حكمًا من الأحكام ثم نسخه علموا أنه أبدله بما هو مثله ، أو خيرٌ منه لهم ، وأنَّ نسخَه هو المناسب للحكمة الربانية ، والمناسبةِ العقلية .

{ وَهُدًىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} أي: يهديهم إلىٰ حقائق الأشياء ، ويبين لهم الحق من الباطل والهدىٰ من الضلال ، ويبشرهم أن لهم أجراً حسنًا ، ماكثين فيه أبداً . وأيضًا فإنه كلما نزل شيئا فشيئًا ، كان أعظمَ هدايةٍ وبشارةٍ لهم مما لو أتاهم جملة واحدة ، وتفرق الفكر فيه ، بل ينزل الله حكمًا وبشارةً أكثر . فإذا فهموه وعقلوه وعرفوا المراد منه ، وترووا منه أنزل نظيره وهكذا. ولذلك بلغ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ به مبلغًا عظيمًا ، وتغيرت أخلاقُهم وطبائعُهم ، وانتقلوا إلىٰ أخلاق وعوائد وأعمال

فاقوا بها الأولين والآخرين .

وكان أعلىٰ وأولىٰ لمَن بعدهم أن يتربوا بعلومه ويتخلقوا بأخلاقه ، ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ، ويجعلوه إمامَهم في جميع الحالات ، فبذلك تستقيم أمورُهم الدينية والدنيوية .

٤ – سؤالُ اللهِ التثبيتَ:

قال الله تعالىٰ : { يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم : ٢٧] .

قال العلامةُ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : أصل الثبات ثباتُ القلب وصبرُه ، ويقينُه عند ورود كلِّ فتنة ، فقال : {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ} . فأهل الإيمان أهدىٰ الناس قلوبًا ، وأثبتُهم عند المزعجات والمقلقات ؛ وذلك لما معهم من الإيمان.

وأخرج أحمدُ والترمذيُّ وحسَّنه عنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ : قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ : كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ :

" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ ". قَالَتْ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ . قَالَ : " يَا أُمَّ سَلَمَةَ ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ ". فَتَلَا مُعَاذٌ : { رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا }.

٥- نصرة دين الله تعالىٰ :

قال الله تعالىٰ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [سورة محمد : ٧] .

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ :

هذا أمرٌ منه تعالىٰ للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه ، والدعوةِ إليه ، وجهادِ أعدائه ، والقصدُ بذلك وجهُ الله ، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم ، أي: يربط علىٰ قلوبهم بالصبر والطمأنينةِ والثباتِ ، ويُصبِّر أجسامهم علىٰ ذلك ، ويعينهم علىٰ أعدائهم ، فهذا وعدٌ مِن كريمٍ صادقِ الوعدِ ،أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه ، وييسر له أسباب النصر ، من الثبات وغيره .

٦- الوسطية :

أخرج أحمد ومسلم وأبو داود عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ . قَالَهَا ثَلَاثًا ".

أيها الأخوة :

إن في تعاقبِ الشدةِ والرخاء والعسرِ واليسرِ كشفـًا عن معادن النفوس ، وطبائعِ القلوب ؛ حيث يمحصَ الله جل وعلا المؤمنين ، ويكشفَ الزائفين .

وإن مما حث عليه الإسلام وعظَّمه القرآنُ الثباتَ علىٰ الدين والاستقامةَ عليه ؛ ذلك أن الثبات علىٰ دين الله والاعتصامَ به يدل دلالة قاطعة علىٰ سلامة الإيمان وحسنِ الإسلام ، وصحةِ اليقين ، وحسنِ الظن بالله تعالىٰ ، وما أعده الله عز وجل من النعيم المقيم في الآخرة لعباده الصالحين ، وما أعدَّه لهم في الدنيا من النصر والتمكين . قال تعالىٰ :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم }.

إن الثبات علىٰ دين الله خُلق عظيم ، ومعنىٰ جميل ، له في النفوس مؤثراتٌ مهمةٌ ،

تفعل فِعلَها وتؤثر أثرَها ،وفيه جوانبُ من الأهمية الفائقة في تربية الفرد والمجتمع ، فصفةُ الثباتِ علىٰ الحق نعمةٌ عظيمة ، حَبَا الله بها أولياءه وأصفياءَه مِن خلقه ، وامتن عليهم بها ، فقال مخاطبًا عبدَه ورسولَه محمداً ﷺ : {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً }.

إنَّ الثباتَ علىٰ دينِ الله دليلٌ علىٰ سلامة المنهج ، وداعيةٌ إلىٰ الثقة به ، كما أنه طريقُ النصر والتمكين .

٧- اليقين بوعد الله بالنصر والتأييد:

قال الله سبحانه: { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}.

قال العلامة السعدي رحمه الله:

{فَاصْبِرْ} : علىٰ ما أُمِرتَ به وعلىٰ دعوتهم إلىٰ الله ، ولو رأيت منهم إعراضاً فلا يصدنك ذلك .

{إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ} : أي لا شك فيه ، وهذا مما يعين علىٰ الصبر ؛ فإن العبد إذا علم أنَّ عملَه غيرُ ضائع بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره ، ويُسِّر عليه كلُّ

عسير ، واستقلَّ من عمله كلَّ كثير .

{وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ}: أي قد ضَعُفَ إيمانُهم ، وقَلَّ يقينُهم ؛ فخفَّتْ لذلك أحلامُهم ، وقَلَّ صبرُهم ، فإياك أن يستخفك هؤلاء ، فإنك إن لم تجعلهم منك علىٰ بال ، وتَحْذرْ منهم ، وإلا استخفوك وحملوك علىٰ عدم الثبات علىٰ الأوامر والنواهي ، والنفسُ تساعدهم علىٰ هذا ، وتطلبُ التشبهَ والموافقةَ ، وهذا مما يدل علىٰ أن كلَّ مؤمنٍ موقنٌ رزينُ العقل يَسْهُل عليه الصبرُ ، وكلُّ ضعيفِ اليقين ضعيفُ العقل خفيفُه . فالأولُ بمنزلة اللبِّ ، والآخَر بمنزلة القشور .

فالله المستعانُ .اهـ

والآياتُ في ذلك كثيرةٌ معلومةٌ .

من فوائد الابتلاء :

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في " زاد المعاد":

فَلَوْلَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُدَاوِي عِبَادَهُ بِأَدْوِيَةِ الْمِحَنِ وَالِابْتِلَاءِ لَطَغَوْا، وَبَغَوْا وَعَتَوْا. وَاللهُ سُبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا سَقَاهُ دَوَاءً مِنَ الِابْتِلَاءِ ، وَالِامْتِحَانِ عَلَىٰ قَدْرِ حَالِهِ ؛

يَسْتَفْرِغُ بِهِ مِنَ الْأَدْوَاءِ الْمُهْلِكَةِ، حَتَّىٰ إِذَا هَذَّبَهُ وَنَقَّاهُ وَصَفَّاهُ أَهَّلَهُ لِأَشْرَفِ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا، وَهِيَ عُبُودِيَّتُهُ وَأَرْفَعِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ رُؤْيَتُهُ وَقُرْبُهُ .

مِن نعمة الله علىٰ عبده ثباتُه علىٰ الحق ، وعدمُ تلونِه فيه :

روىٰ البيهقي في " شُعب الإيمان" عَنِ الْحَسَنِ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : " إِنَّ هَذَا الْحَقَّ جَهَدَ النَّاسَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِمْ ، وَإِنَّمَا صَبَرَ عَلَىٰ هَذَا الْحَقِّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ وَرَجَا عَاقِبَتَهُ . إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا قَرَؤوا الْقُرْآنَ لَا يَعْلَمُونَ سُنَّتَهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ أَتْبَعَهُ بِعَمَلِهِ ، وَإِنْ كَانُوا لَا يَقْرَؤونهُ ، إِنَّكَ لَتَعْرِفُ النَّاسَ مَا كَانُوا فِي عَافِيَةٍ ، فَإِذَا نَزَلَ بَلَاءٌ صَارَ النَّاسُ إِلَىٰ حَقَائِقِهِمْ ، صَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ إِيمَانِهِ ، وَالْمُنَافِقُ إِلَىٰ نِفَاقِهِ .

أخرج الهروي في " ذم الكلام وأهلِه"، وابنُ بطة في "الإبانة الكبرىٰ"، واللالكائيُّ في " شرح أصول الاعتقاد" عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ : "اعْهَدْ إِلَيْنَا ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُكَ بِأَحَادِيث ، قَالَ : أَوَ مَا أَتَاكَ الْحَقُّ الْيَقِينُ ؟ قَالَ : بَلَىٰ . قَالَ : اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْمَىٰ

الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ ، أَوْ أَنْ تُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ ، فَإِنَّ دِينَ اللهِ وَاحِد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في "مجموع الفتاوى" :

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ امْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأُخْدُودِ وَنَحْوِهِمْ وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْأَئِمَّةِ حَتَّى كَانَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: " لَا تَغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يُصِبْهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَلَاءٌ ".

احذر أخي من التلون في الدين ، وإليك مخاطره :

١ – المتلون في الدين لا يكون أمينًا :

أخرج البخاري في الأدب المفرد وقال الألباني :حسن صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا " .

٢ – المتلون يأتي يوم القيامة وله لسانان من نار :

أخرج الطبراني في "الأوسط" وصححه الألباني في "الصحيحة" بطرقه عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ».

قال الحافظُ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "الكبائر":

وَمن كَانَ ذَا لسانين فِي الدُّنْيَا فَإِن الله يَجْعَل لَهُ لسانين من نَار يَوْم الْقِيَامَة .

وَمعنىٰ من كَانَ ذَا لسانين : أَي يتَكَلَّم مَعَ هَؤُلَاءِ بِكَلَام ، وَهَؤُلَاء بِكَلَام ، وَهُوَ بِمَعْنىٰ صَاحب الْوَجْهَيْنِ .

٣- التلون من صفات المنافقين :

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في " طريق الهجرتين ، وباب السعادتين":

ومن صفاتهم : كثرةُ التلون ، وسرعةُ التقلب ، وعدمُ الثبات علىٰ حال واحد ، بيْنا تراه علىٰ حال تعجبك من دينٍ ، أو عبادةٍ ، أو هَدْيٍ صالح ، أو صدقٍ، إذِ انقلب إلىٰ ضد ذلك ، كأنه لم يعرف غيرَه ، فهو أشد الناس تلونـًا ، وتقلبـًا ، وتنقلاً، جيفةٌ بالليل ، قُطْربٌ بالنهار .

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ : " قُطْرُبٌ بالنهار " . القطرب : ذبابَةٌ لا تَفْتُرُ عن الحركةِ .

كيف تعرف هؤلاء المتلونين ؟

١ – يُعرف المتلون بجليسه ، مهما حاول أن يتخفىٰ :

أخرج ابن بطة في "الإبانة الكبرىٰ": قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وأخرج رَحِمَهُ اللَّهُ في " السابق":

كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ يَقُولُ: مَنْ سَتَرَ عَنَّا بِدْعَتَهُ لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا أُلْفَتُهُ.

٢ – يُعرف المتلون من قسمات وجهه ، وفلتات لسانه :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " مجموع الفتاوىٰ":

فَالْمُنَافِقُ لَابُدَّ أَنْ يُظْهِرَ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ نِفَاقِهِ وَمَا أَضْمَرَهُ كَمَا قَالَ عُثْمَانُ ابْنُ عفان: مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَظْهَرَهَا اللهُ عَلَىٰ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ الْمُنَافِقِينَ: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} ثُمَّ قَالَ : {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} وَهُوَ جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ أَيْ: وَاَللَّهِ لَتَعْرِفَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ فَمَعْرِفَةُ الْمُنَافِقِ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ لَابُدَّ مِنْهَا وَأَمَّا مَعْرِفَتُهُ بِالسِّيمَا فَمَوْقُوفَةٌ عَلَىٰ الْمَشِيئَةِ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في " المصدر السابق" :

وَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ ظُهُورَ مَا فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ أَقْوَىٰ مِنْ ظُهُورِهِ عَلَىٰ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ تُرْجُمَانُ الْقَلْبِ فَإِظْهَارُهُ لِمَا أَكَنَّهُ أَوْكَدُ .اهـ

أيها الأخوة :

احذروا رحمكم الله هؤلاء المتلونين في دين الله ، فإنهم كالعقارب :

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ الله كما في "طبقات الحنابلة":

مَثَلُ أصحاب البدع مَثَلُ العقارب ، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم فِي التراب ويُخرجون أذنابَهم ، فَإِذَا تَمكَّنوا لَدغوا ، وكذلك أهلُ البدع هم مختفون بين الناس فَإِذَا تمكنوا بلغوا ما يريدون .

أيها الأخوة :

لا تلتفتوا إلىٰ أقوال هؤلاء المتلونين ، ولا إلىٰ كثرتهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين":

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : " عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الْحَقِّ ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِينَ ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ "، وَكُلَّمَا اسْتَوْحَشْتَ فِي تَفَرُّدِكَ فَانْظُرْ إِلَىٰ الرَّفِيقِ السَّابِقِ ، وَاحْرِصْ عَلَىٰ اللَّحَاقِ بِهِمْ ، وَغُضَّ الطَّرْفَ عَمَّنْ سِوَاهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، وَإِذَا صَاحُوا بِكَ فِي طَرِيقِ سَيْرِكَ فَلَا تَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّكَ مَتَىٰ الْتَفَتَّ إِلَيْهِمْ أَخَذُوكَ وَعَاقُوكَ .